

الاوروبي المتصاعد الحدة ، ولذلك اخذت تميل باطراد نحو « الاسراع في تنظيم قوة دفاع يهودية منطلوعة ، بالاضافة الى القوة القائمة وعددها ٦٥٠٠ مسلح » (٨٨). وقد مضت قدما في سياسة الاعتماد على القوة المحلية الصهيونية وتسليحها جزءا كبيرا من واجبات القمع الذي كان يتسع ، ومع ذلك فانها لم تقطع ذلك الجسر الذي كانت تتركه دائما قائما بينها وبين قيادة الطبقات التي كان يتزعمها المفتي ، وقد لعب البريطانيون في هذا المجال بالذات ، وفي هذه الفترة بالتحديد ، دورا بارزا في ابقاء المفتي بمثابة الممثل غير المتنازع لعرب فلسطين ، فقد كان احتياطهم من القيادة الواقعة على يمين المفتي قد احترق عمليا ، ولذلك لم تكن عملية استبعاد المفتي من اعتباره الزعيم الاوحد الاعلى « لا تبقى من يستطيع تمثيل العرب سوى قادة الثورة في الجبال » (٨٩)، على حد قول المندوب السامي البريطاني لفلسطين ، ولا شك ان ذلك من بين اسباب اخرى ، ساعد على ابقاء الحاج امين الحسيني على قمة قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية رغم انه كان قد غادر مكان اختفائه في الاقصى ، بأسلوب مثير ، وظل في دمشق منذ اواخر تشرين الاول ١٩٢٧ .

ان العسف البريطاني الذي تصاعد بصورة غير متوقعة ، وتساعد عمليات المداخلة والاعتقال الجماعي والإعدام طوال ١٩٢٧ و ١٩٢٨ انهكت الثورة ، ولكنها لم تضع حدا لها ، وقد ادرك البريطانيون ان الثورة هي في جوهرها ومادتها وقياداتها المحلية ثورة فلاحية ، وحين حاولت ، نتيجة ذلك ، ان تميز في تعاملها مع المدنيين ادت الروح الثورية المهيمنة في فلسطين باجمعها الى تعميم لباس الرأس الفلاحي (الكوفية والمقال) في المدن ، كي لا يخضع الريفي النازل الى المدينة لعسف السلطة ، وبعد ذلك منع الجميع من حمل هوياتهم الشخصية كي لا تكتشف السلطة الفلاح من المدني .

ان هذا الواقع يشير الى طبيعة الثورة والسى نفوذها في تلك المرحلة اشارة واضحة للغاية ، كان الريف ، بصورة عامة ، هو ربح الثورة ، وكانت عمليات احتلال المدن المؤقتة في ١٩٢٨ تتم اثر هجمات يشنها الفلاحون (٩٠) من الخارج ، وهذا يعني ان الفلاحين والقرويين بصورة عامة هم الذين كانوا يدفعون الثمن الاكبر . ففي عام ١٩٢٨ اهدم

قطعا تاما ، ولكن اليهود رفضوا ذلك على الفور لانهم يعتبرون علاقاتهم ببريطانيا مسألة جوهرية « (٨٥) ، وقد ترافق ذلك مع ارتفاع عدد اليهود الذين يخدمون في البوليس في فلسطين من ٣٦٥ عام ١٩٢٥ الى ٦٨٢ عام ١٩٣٦ ، وفي اواخر ذلك العام اذنت الحكومة بتجنيد ١٢٤٠ يهوديا كبوليس اضافي مسلح ببنادق حربية ، وارتفع العدد بعد شهر الى ٢٨٦٣ مجندا (٨٦) . ولعب ضباط بريطانيون دورا بارزا في قيادة مجموعات يهودية للهجوم على قرى عربية . والثانية : ان وجود زعامة الثورة خارج فلسطين (في دمشق) قد جعل دور القيادات المحلية المنحدرة من اصل فلاحى مثير في معظمها دورا اكبر مما كان في الحقبة المنصرمة ، وكان هؤلاء يرتبطون مع الفلاحين ارتباطا وثيقا ، وذلك يفسر ، الى حد بعيد ، المدى الأبعد الذي كان يوسع الثورة ان تصله . لقد برز في هذه الحقبة ، على سبيل المثال ، عبدالرحيم الحاج محمد كاتاند محلي ، ويقول الشيوعيون انهم كانوا يتصلون به ويزودونه بالمعلومات (٨٧) . وكان من الممكن ان يشكل هذا التطور نقطة انعطاف تاريخية في الثورة لولا ضعف « اليسار » ، بمعناه النسبي ومعناه الحقيقي ، ولولا اضطرار هذه القيادات المحلية للاحتفاظ بصلتها التنظيمية الى حد معين مع « اللجنة المركزية للجهاد » في دمشق ، وذلك ليس فقط بسبب الولاء التقليدي لها ، ولكن ايضا بسبب اعتمادها بدرجة من الدرجات على تمويلها . في تاريخ النضال الفلسطيني برمته لم تكن الثورة الشعبية المسلحة اقرب الى الانتصار مما كانت عليه في تلك الشهور التي امتدت بين اواخر ١٩٢٧ و اوائل ١٩٢٩ . لقد ضعفت في هذه الفترة سيطرة القوات البريطانية على فلسطين ووصلت هيبة الاستعمار الى الحضيض ، واصبحت سمعة الثورة ونفوذها هما القوة الاساسية في البلاد . الا ان ما حدث في هذا الوقت ايضا هو ازدياد فتاعة بريطانيا بان عليها الاعتماد على القوى الصهيونية ان هي ارادت سيطرة طويلة الامد على الوضع ، وقد اعطاها الصهاينة حالة فريدة لم تكن لها في اي من مستعمراتها. هذه الحالة هي توفر قوة محلية لها مع الاستعمار البريطاني قضية مشتركة ، ومشحونة حتى أقصى الحالات ضد السكان المحليين . في تلك الفترة بدأت بريطانيا تخشى من اضطرارها لتحويل جزء من قوتها العسكرية لمواجهة الماساق